الاشاريات الشخصية في شعر شعراء الأسر والسجون في العصر العباسي

م.م. سرور عطوان عبد الواحد

أ.د. قصي إبراهيم الحصونة

جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

بدأ الدرس التداولي يأخذ مساحة واسعة من اهتمام الدارسين، ولا سيما ضمن الجانب الأدبي، إذ أخذت أغلب الدراسة بمحاولة تطبيق مبادئ التداولية على النصوص الأدبية، ضمن محاولة محاكاة هذه النصوص، وكانت الأبعاد الإشارية من أهم ما طُبّق على النص الأدبي، لما لها من أهمية ودور فاعل في وقوف الدارس على مضامين هذه النصوص ببُعْدها التداولي، ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث، لتسلّط الضوء على معالم الإشاريات الشخصية على وجه التحديد، متخذة من شعر شعراء السجون في العصر العباسي عينةً للدراسة، وذلك بالتركيز على بعض معالم الإشاريات، ومنها الضمائر، والاسماء الموصولة، على بعض شعر شعراء السجون ضمن الحقبة العباسية.

الكلمات المفتاحية: (الإشاريات، شعر السجون، العصر العباسي، الإحالة).

Personal references in the poetry of poets of captivity and prisons in the Abbasid era

Sorour Atwan Abdel Wahed

Qusay Ibrahim Al-Hosouna

Dhi Qar University/College of Education for Human Sciences

Abstract:

The pragmatics lesson began to take a wide area of interest among scholars, especially within the literary aspect, as most of the study was devoted to trying to apply the principles of pragmatics to literary texts, as part of an attempt to emulate these texts, and the indicative dimensions were among the most important things that were applied to the literary text, because of their importance and role. It is effective in making the student aware of the contents of these texts in their pragmatic dimension, and from this standpoint came the idea of this research, to shed light on the features of personal deictic language specifically, taking the poetry of prison poets in the Abbasid era as a sample for study, by

focusing on some of the deictic features, including pronouns. And the relative pronouns on some of the poetry of prison poets during the Abbasid era.

Keywords: (Ishaariyyat, prison poetry, the Abbasid era, referral)

المقدمة:

الإشاريات الشخصية وهي بشكل عام، الإشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، كما تدخل في الإشارة إلى شخص (deixis Person) النداء (Vocative)، وتعد الأنا أو الذات المتلفظة محور التلفظ في الخطاب تداوليا، كما أن ممارسة التلفظ هي ما يدل على المرسل في البنية العميقة مما يجعل حضور الأنا في كل خطاب، ولهذا لا ينطقها المرسل في كل حين، إذ يعول على كفاءة المرسل إليه[١]. كما أنها عاجزة بمفردها على تحديد إحالتها الحاصلة لذلك عَّدها (ميلنر) فاقدة للاستقلالية الاحالية[٢].

فالضمير، اسم غير متصرف يكنى به عن الغائب أو الحاضر، و الحاضر نوعان :مخاطب ومتكلم[٣].

تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري، وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المتقبل، وكل مجموعة منهما تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد الى اقسامها المعروفة[٤].

تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الاشاري، وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المتقبل، وكل مجموعة منهما تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد الى اقسامها المعروفة[٥].

ولهذا يرى " آن روبول" أن للضمائر نتائج متعددة[٦].

وما من الخطاب إلا وتوفر على مجموعة من الإشاريات أو عناصر الدالة التي تحيل إلى قصدية المتكلم ، هذه الإشاريات تتم بواسطتها معرفة قصدية الخطاب، التي تحيل مباشرة على مقام من حيث وجود ذات متكلمة و زمان تكلم ومكانه، إذ تؤدي الإشاريات الشخصية دورًا وسيطًا في العملية التواصلية، و بهذا تكون بمثابة اللواحق التي تشير إليها إلى ضرورة لإلمام بالدلالة العامة للتركيب[٧].

أولًا: ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب

ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب، يمكن تعيينها مباشرة ضمائر المتكلم لا تحيل ألا على صاحب القول، فهي تحيل إلى المرسل الذي يعد((الذات المحورية في الخطاب، الا انه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه))[٨].

فالمتكلم حين يملك اللغة ويتحكم فيها فهو يجعلها من إمكاناته، وينصب نفسه في مرتبة عالية ضمن العملية التخاطبية[٩].

أما الضمير المخاطب هو اسم جامد على مخاطب ، ويطلق على الضمير المخاطب اسم (ضمير الحضور) لأنه يتطلب حضور صاحبه عند النطق به[١٠].

وبما أن شعر الأسر والسجون يعبر عن نفسية الشاعر وما يمر به فإن متلقيه الأول سيكون الشاعر نفسه ومن ثم ينتقل إلى المخاطب سواء كان الحاكم أو السلطة أو السجان، أو أهل الشاعر ومحبيه، وهنا سوف نستعرض بعضاً من الاشاريات الشخصية وما بها من الضمائر التي وظّفت في شعر شعراء الأسر والسجون في العصر العباسي عصر السلطة.

و لذا تجدر الإشارة إلى أن الوسط السياسي في هذا العصر كان من أبشع البيئات للموآمرات والخيانات، إذ حيكت الدسائس ونُقضت العهود، واغتال بعض الساسة بعضهم الآخر من أجل الاستئثار بالسلطة ومنافعها، وفي مثل هذا الوسط تشوه الحقائق وتروج الأباطيل والشائعات، التي كانت لها اليد الطولى في القضاء على العديد من الشعراء والكتَّاب وزجهم في السجون[١١]، فعند دخول السجين الى السجن يصاب بالخيبة والاحباط الشديد وهذا ما نراه لدى الشاعر ابن الزيات[١٢] إذ يقول شاكياً:

لعب البلى بمعالمي ورسومي ودفنتُ حياً تحت ردمِ غمومِ

وشكوتُ غمي حين ضقتُ ومن شَكا كَرباً يضيق به فغير ملومِ

لزم البلى جسمي و أوهن قوتي إن البلى لموكَّلٌ بلزومي[١٣]

ملامح الاشاريات نراها بارزة في الأبيات أعلاه من خلال الاشاريات الشخصية التي استخدمها الشاعر وهي ضمير التكلم (الياء) في الكلمات (معالمي، رسومي، جسمي، قوتي، بلزومي) في أبياته الشعرية إذ يصف حاله شاكياً، ما يعانيه في السجن، فنجد هذه الإشاريات تدل على صدمة الشاعر في تغير حاله من وزير إلى سجين، إذ تبرز ملامح التداولية في شعره من خلال وصفه لما يشعر به من حزن وألم فيشكو ماحل به معبراً عنه باستخدامه ضمير التكلم وهو (الياء) في هذه الأبيات كما نراه أيضا استخدم ضمير التكلم وهو (التاء) في الكلمات (ضقت، دفنتُ، شكوت) معبراً فيه عن حاله وما يخالجه من شعور داخل السجن. وبذلك يتجلى الملمح التداولي بحليته الاشارية ضمن توظيف الضمائر وهو ما يعرف بـ(الاشاريات الشخصية)، وذلك أن الاشاريات الشخصية هي ((الاشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب أو الغائب، فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه، وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداولياً))[١٤].

وقد تنوع التوظيف للإشاريات الشخصية في أبيات الشاعر هنا، وهذا لخلق حالة المشاركة بين الباث وهو (الشاعر) والمتلقي، وذلك أن نجاح التوظيف الاشاري الشخصي تداولياً يعتمد بشكل كبير على مبدا المشاركة بين المتكلم والمتلقي في عملية التلفظ، وذلك أنها بحاجة إلى احالتها الى مرجعها، فهي فاقدة للاستقلالية[١٥].

إن ألفاظ هذه الأبيات (غموم ، غمي ، ضقت ، يضيق ، دفنت ، كربا ، أوهن ...) تؤكِّد داخل سياقها الشعري أن الشاعر يشعر بتراجع ذاته، وكذلك من شعر ابن الزيات في العذاب داخل السجن حيث كان المتوكل يحضر إلى السجن ويشاهد عذاب ابن الزيات وكان ابن الزيات يستعطفه ويقول له: يا أمير المؤمنين أرحمني ، فقال له : الرحمة خور في الطبيعة كما كنت تقول للناس[١٦]وقال له : ((أجبرنا فيك حكمك في الناس))[١٧].

ومما كتبه أثناء العذاب أبياتا يذكر فيها ما يقاسيه من تسهير وتشوق إلى النوم وقد وجدت هذه الأبيات مكتوبه بخطه بالفحم على جانب التنور:

مـــــن لـــــهُ عهـــــدٌ بنـــــوم يرشـــــــدُ الصـــــــب إليـــــــهِ

رحـــــــــم اللهُ رحيمـــــــــاً دلَ عينـــــــــــــي عليـــــــــــه

ســـــــهرتْ عينـــــــي ونامـــــــتْ عـــــينُ مـــــنْ هنـــــتُ عليـــــه[١٨]

في هذه الأبيات نرى ملامح الاشاريات الشخصية واضحة جداً إذ ابدع ابن الزيات في توظيف الاشاريات الشخصية، إذ نراه قد جمع الأسماء الموصولة مع ضمائر المتكلم وهو ما يوضح ابداع الشاعر في توظيفه الملامح التداولية في شعره، ففي البيت الاول نرى استعمل الاسم الموصل (من) لكي يجذب المتلقي اليه وهو ما يوضح التفاتة جميلة استعملها الشاعر لكي يجذب انتباه المتلقي إذ سال عن النوم باستعماله الاشاريات الشخصية وهو يريد من يرشده إليه لأنه من شدة الألم لا يستطيع النوم.

كذلك نجد في البيت الثاني أن الشاعر وظف الضمير المتكلم (الياء) في كلمة(عيني) فأخذ يخاطب فيها المتلقي لكي يدل عينه على النوم، وكذلك نرى أنه استعمل ضمير المتكلم (التاء) في الكلمات(سهرت) إذ وظفها توظيفاً جميلاً في النص من أجل جذب انتباه المتوكل العباسي، فهو يحاول ايصال ما يشعر به من العذاب عن طريق ضمائر التكلم من أجل ايصال مشاعره للمتلقي لعله يعطف عليه ويخلصه من العذاب الذي يشعر به. فالشاعر استعمل التعبير الإشاري بأبعاده التداولية ليجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود ذات متكلمة وزمان التكلم ومكانه[١٩]، ومن ثم نلحظ في البيت الاخير ظهور المخاطب حاضراً من خلال الضمير المستتر (أنت) مع الأفعال (نامت، هنت)، فابن الزيات هنا يحاول أن يوجه خطابه إلى المتوكل، وبذا نلحظ دور الاشارة إلى المخاطب في الأبيات مع الأفعال، فيحقق التوظيف الاشاري للشاعر مراده بإيصال قصده إلى المتلقي وجعله في هالة من التفاعل الحاصل مع الباث ضمن مشاركة وجدانية تمكن الشاعر عبرها من ايصال حالة الألم وهو في غياهب السجن وما يستلزم ذلك الحال من ألم وحسرة، ذلك أن الخطاب هنا يقوم على عنصر استراتيجية الخطاب عامة، فالشاعر يعتمد على العنصر الاشاري الشخصي هنا فيراعي حاله في العملية التخاطبية لما له من دور فاعل في تحقيق التواصل وإيصال المعنى والقصد، ولذا لا يغفل الشاعر (الباث) ذلك في خطابة ولا يحيد عنه[٢٠].

وقد تنوع التوظيف للإشاريات الشخصية في شعر ابن الزيات، إذ نراه في ابياته وهو في السجن يخاطب ابنته ويوصيها ويصف لها حاله فيه، فيقول:

أبنتـــي قللـــي بكـــاك واصـــبري فـــإذا ســـمعت بهالـــكٍ مغمـــومِ

فـــانعي ابـــاك إلـــى نســـائه واقعـــدي فـــي مـــأتم يبكـــي العيـــون وقـــومي

قـــولي لـــه يـــا غائبـــاً لا يرتجـــى حتـــى القيامـــة مخبـــزاً بقـــدومي

يـــا عـــين كنـــت ومـــا أكلفـــك البكـــا حتـــى ابتليـــت فـــإن صـــبرت فـــدومي[٢١]

تبرز ملاح التداولية في أبيات ابن الزيات، ومن ذلك توظيف الإشاريات، من ذلك الضمير في (ابنتي) وهي المشار لأنَّها الشخصية في هذه المقامة للإحالة على مرجع واحد يكمن في متكلم، إذ استعمل الضمير (ياء المتكلم) مكلماً ابنته في الكلمات (ابنتي ، قللي، أصبري، انعي، اقعدي، يبكي، قومي، قولي، قدومي، فدومي) فأخذ يوظف ابن الزيات ضمير التكلم بصورة جميلة لكي يحيلها الى المخاطب وهي ابنته فهو يوصيها ويصف حاله في السجن لها فيوصيها بتقليل البكاء ويوصيها بالصبر وأن تجلس في مجالس تحي ذكراه وتبكي من في المجلس عليه، ونلحظ أنه استخدم ضمير المخاطب وهو (التاء) في الكلمات (كنت، ابتليت، صبرت) وهو حضور المخاطب فاعل في الأبيات إذ يصف حاله وغمومه لابنته، وهي ضمائر تقوم بحسب أدبيات التداولية بوظيفة تنبيهية وتأثيرية وتبليغية[٢٢].

وفي غياهيب سجون العصر العباسي نجد ايضاً شاعراً آخر يتحدث عن ألمه في السجن وكيف هو شعوره في السجن وكيف يرى السجن كأنه قبر له، إذ يصف أبو نواس حاله في القبر كما كان يصفه فوقه (القبر المؤقت)[٢٣] قائلاً:

إنـــي أتيـــتكم مـــن القبـــرِ والنـــاس محتبـــسون للحـــشر

لَـــولا أَبـــو العَبّـــاسِ مـــا نَظَـــرَت عَينـــي إِلـــى وَلَـــدٍ وَلا وَفـــرِ

اللهُ أَلْبَسَـــــني بِـــــهِ نِعَمـــــاً شَـــغَلَت جَســـامَتُها يَـــدي شُـــكري

لُقِّنتُهـــا مِـــن مُفهِـــمٍ فَهِـــمٍ فَعَقَـــدتُها بِأَنامِـــلٍ عَشـــرِ(٢٤)

هنا تبرز ملامح الاشاريات في البيت أعلاه، فقد استعمل الشاعر العنصر الاشاري وهو الضمير (ياء المتكلم) في الكلمات (إني، عيني، شكري) فأخذ يصف ما يشعر به في السجن فهي أجواء يجتمع معها التشتّت والضياع والقلق الحاد، وكلّها مشاعر تجسد الغربة أيما تجسيد مع وجوده في مكان يستشعر فيه الضيق والانغلاق(٢٥)، كما نجده أيضاً استعمل الضمير المخاطب في كلمة (أتيتكم)، إذ اقترن مع العنصر الإشاري في هذه العبارة فيخاطب المتلقي ويصف حاله كأن الناس مجتمعة للحشر، فنلاحظ الضمير المتكلم (الحاضر) لأنه يعيّن حضور المتكلم ووجوده سياقيا ومرجعيا في أثناء عملية التلفظ والتواصل(٢٦)، فللضمير دور فعال للإشارة إلى المخاطب في الأبيات أعلاه مع ضمير التكلم.

ونرى الملامح الاشارية في شعر محمد بن صالح العلوي إذ يقول(٢٧):

أَلَـم يحـز نْـ كِ يـا ذلفـاء أنَّـي ســكنتُ مســاكن الأمــوات حيــا

وإن حمـــائلي ونجـــاد سيـــفي عـــلون مجدعـــاً أشروسنيّـــا

فقصرهـــن لمـــا طـــلن حتـــى اســـتوين عليـــه لا أمســـي ســـويا

أمـــا والراقصـــات بـــذات عـــرق تريـــد البيـــت تحـــسبه قســـيا

لـــو أمكننـــي غداتئـــذٍ جـــلاداً لأَلفونـــي بـــه سمحـــاً سخـــيا(٢٨)

في هذه الأبيات نرى الشاعر العلوي قد أحسن توظيف الاشاريات الشخصية في قصيدته، إذ استعمل الضمير المخاطب وهو (الكاف) وهو يمثل هنا التفاته بلاغية من أجل جذب انتباه المتلقي، ثم بعد ذلك نجده قد استعمل عنصراً اشارياً آخر وهو حرف النداء (الياء)، ويعد النداء من الاشاريات الشخصية[٢٩]، وهو إشارة إلى مخاطب، من أجل تنبيهه، أو توجيهه، أو استدعائه، فالنداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع المشار اليه، وهو الطريقة المثلى بصيغته الظاهرة أو المحذوفة ، واشكاله المختلفة واساليبه المتنوعة للتعبير[٣٠]، ولذا يرى أحد الباحثين: أنَّ النداء من أبرز أدوات التخاطب الخاصة بالعملية التواصلية؛ لأنه يجسد دور التخاطب[٣١].

ونرى الشاعر أبا نوس شاكيا حاله للوزير بقوله:

وقيت بك الردى زدنِي قيوداً وثن علي سوطاً أو حديدا

ووكِّل بي وبالأبوابِ دوني من الرقباء شيطاناً مريدا

واعفِ مسامعي من صوت رجسٍ ثقيلٌ شخصه يدعى سعيدا[٣٢]

في الأبيات أعلاه يخاطب الشاعر الوزير الفضل بن الربيع ودلالة الأبيات تشير إلى تقديم تظلم من حالة لا يحتملها الشاعر فقد تركتْ أثراً نفسياً تجلى بخطابه، وقد اشتمل الخطاب على إشاريات شخصية حصلت نتيجة التوتر والقيود المفروضة على الشاعر، فأورد الضمير ياء المتكلم بصورة لافتة في (زدني، وثن عليّ، ووكل بي، دوني، وأعن مسامعي)، وهذا له دلالته على التوتر الذي يمر به الشاعر، وقد لجأ إلى أسلوب التكرار في ضمير المتكلم، فهو يطلب من المخاطب أن يقيه الردى والهلاك، فقد أنجز الشاعر الخطاب من خلال التكرار للعنصر الاشاري الشخصي ضمير المتكلم مبيناً معاني الظلم الذي يتعرض له على يد السجان من دون أن يذكر ضمير المخاطب فقد اعتمد على الضمير المستتر(أنت) الذي يعود على الوزير الفضل، ثم أنَّ الضمائر الشخصية في (زدني قيوداً، وثن علي سوطاً أو حديداً ، ووكِّل بي، شيطاناً مريدا) لا تخرج عن أحد أمرين: الأول أن صورة التعذيب هذه التي عانتها الذات من السجان تجسدت انطلاقاً من مبدأ المؤثِّر الخارجي (الواقعي) ، والاستجابة

الداخلية التي تمثَّلت في هذه التجربة الشعرية، والآخر أعمق دلالة من الأول ، يتمثَّل في أن كلَّ صور التعذيب المذكورة في النص أكبر مما لاقته الذات من السجان في الواقع ، إنَّه تهويل مأساوي لا يكاد يقترب من حقيقة الواقع ، وإلَّا ما معنى تمنِّي الشاعر هذه العذابات مكان طلب عدم رؤية السجان (سعيد) وسماع صوته[٣٣].

ولعل قراءتنا لروميات ابي فراس الحمداني(٣٥٧هـ) تؤكد أن ((الإنسان لا يدرك شخصيته وأصالته وتفرده وتميزه عن كلِّ شخص ، وعن كلِّ شيء إلَّا عندما يكون وحيداً ، وإلَّا عندما يستبد به ذلك الشعور الحزين الكئيب بانعزاله ، والشعور بالعزلة الحادة يميل إلى أن يجعل كلَّ شيء آخر يبدو غريباً معادياً ، وحينئذ يشعر الإنسان أنَّه غريب متوحد لا وطن روحياً له))[٣٤]، إذ نرى ذلك في أبيات له يقول فيها:

وما كلُّ أنصاري من النَّاس ناصري ولا كلُّ أعضادي من النَّاس عاضدِي

وهل نافعي إن عضني الدهر مفرداً إذا كان لي قوم طوالُ السواعدِ؟

وهل أنا مسرور بقربِ أقاربي إذا كان لي منهم قلوب الأباعد[٣٥]

يبرز في آخر البيت العنصر التداولي الاشاري وهو الضمير المتكلم (انا) اذ نرى الشاعر قد استعمل هذا الضمير من اجل ان يصف لنا شعوره ويوصله بطريقة الاشارية الى المتلقي ويجعله يحس ويعيش الغربة معه، فالضمير (أنا) والضمير المستتر (هم) لهما دلالة في ذاتهما على المتكلم أو المخاطب، والسياق هو الذي يدلّ على معرفة مَن المتكلم ومَن المخاطب[٣٦].

ياء النداء

النداء أسلوب من أكثر الأساليب اللغوية المستخدمة، فلا يكاد يخلو كلام إنسان كل يوم من النداء، سواء أكانت رغبةً منهم في لفت نظر شخص ما أو لإثارة انتباهه، لذلك كان للنداء أسلوب خاص أو جملة خاصة، يتميز به عن باقي الجمل[٣٧]، فالنداء أسلوب في الكلام، يُؤتَى به باسمٍ ظاهرٍ، بحيث يُطلب من شخص ما الإقبال على المتكلّم ليبلغه أمراً ما، أو ليتوجّه إليه بطلب، ويُقصد بذلك أنّنا إذا

أردنا أن نطلب من أحد أن يقبل إلينا، فإنّنا نبدأ النداء بأداة نداء كـ (يا) وبعدها نذكر اسم الشخص، أو صفته مثلاً، كأن تنادي: (يا صلاحَ الدين)، و(يا حارسَ البستان) و(يا عبد الله، أعنّي)، ويُسمّى الاسم بعد (يا) بـ: المُنادى، أمّا الشخص الذي ينادي يسمّى بـ (المُنادي)، والوسيلة (الأداة) المستخدمة في جملة النداء تسمى (أداة النداء)[٣٨].

استعمل الشاعر إبراهيم الموصلي[٣٩] الاشاريات الشخصية في شعره، إذ نراه عانى كما عانى المسجونين أمثاله فهي حالة صعبة يمر بها الشاعر أو شخص المسجون فهو يعيش الألم والحزن والوحدة والفقد وهي ضغوط يعاني منها الشاعر فيحاول أن يعبر عنها ويوصلها للمتلقي عن طريق شعره، إذ نراه يقول :

يا أخلاء قد مللتُ مكاني وتذكَّرت ما مضى من زماني

شربي الراح إذ تقوم علينا ذاتُ دلٍّ كأنَّها غصنِ بان[٤٠]

فقد استعمل الشاعر حرف النداء وهو(الياء) لكي يخاطب اخلاءه ويشرح لهم حاله في السجن وكيف كره المكان الذي هو به وهو في وحدة السجن والالم والمعاناة ويتذكر زمانه وكيف كان يشرب في الحانة وكيف كان في الماضي، مما يسهّل عملية تأويل الخطاب تأويلا سليما، إذ تبدو الصيغ المدعوّة تقليديا " ضمائر الشخص والإشاريات وكأنها مجموعة من الأفراد، والصيغ التي تحيل دائما إلى الأشخاص، سواء تعلّق الأمر بالأفراد، أم بالأزمنة، أم بالأمكنة، وذلك بموازاة الكلمات الاسميّة التي تحيل دائما إلى المفاهيم فقط[٤١].

كذلك عانى الشاعر أسامة ابن المنقذ[٤٢] من الالم وهو مستكنر ما يشعر به إذ بعد أن كان اميراً أصبح اليوم سجيناً بعيداً عن أهله وعن اخلائه في غياهب سجنه يشعر بضيق السجن عليه، وله في ذلك شكواه، و((تشتمل الشكوى –عموماً– على قدر من الضعف، وأرى أن الشكوى أسلوب مكون من ثلاثة عناصر؛ المشتكي والمشتكى له وموضوع الشكوى، ولا نرمي من هذا التقسيم التعريفَ بعناصر أسلوب الشكوى ، وإنما نرمي إلى التنويه بالمشتكى له، فالشاعر لا يرهقه ما يعانيه في السجن بقدر ماترهقه الاساءة))[٤٣]، لذا يقول :

علام يا دهر بالعدوان تحبسني في غير جِ نْسي ولم أُفقَد ولم أغبِ

هلَّا بأدنى العذابين اقتنعت لنا فالذبح أروح من تعذيبِ مغترب(٤٤)

الشاعر في هذين البيتين يخاطب الدهر باستعماله (ياء النداء)، وهو يصف ما حصل له من تغير حال، وكيف أصبح تحت سيطرة وسجن السلطة العباسية، إذ قال (يا دهر) فهو يشكو جانب من جوانب التعذيب، إذ هو غريب ليس في بلده، فتبرز في هذه الأبيات الملامح الاشارية متمثلة بـ(ياء النداء) واستعملها للقريب وهي السلطة العباسية، إن النداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه(٤٥). وهنا اوضح الشاعر لنا ان ما يشير اليه من خلال كلمة (الدهر) وهي السلطة العباسية .

وجاء التوظيف الاشاري ضمن دائرة التداولية فيما كتبه الشاعر إبراهيم بن المدبر في سجنه إلى نديم المتوكل أبي عبد الله بن حمدون يسأله تذكير الخليفة، فقال:

يا بن حمدون فتى الجود الذي أنا مِنه في جنى ورد جني

ما الذي ترقُبه أَم ما ترى في أخٍ مضطَهدٍ مرتهن(٤٦)

فقد بدء الشاعر قصيدته بياء النداء مخاطبا ابن حمدون، وجاء استعمال الشاعر لهذه الياء من اجعل تنبيه ولفت انتباه المتلقي وهو المخاطب أي ابن (حمدون) محاولاً جذب عطفه من أجل اخراجه من السجن، فهنا العنصر الاشاري أدى دوره بصور متناغمة مع مقصد الشاعر، وهذا هو واقع التوظيف التداولي، فالتداولية ظل واسع يتعدى حدود ما هو لساني الى ما هو سيميائي إلا أن التداولية حبيسة الإشاريات(٤٧).

فالإشاريات تشكل جزءا من المرجعيات؛ لأنها لا تشير إلا بوجود مرجع ما بين أنا وبين فرد ما عن نفسه في لحظة معينة تكون العلاقة علاقة حقيقية(٤٨)، كما يمكن أن يدخل في الاشارة إلى شخص النداء، وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب لتنبيهه واستدعائه وظاهر النداء لا يفه إلا إذا اتضح المرجع الذي يشر إليه.

الأسماء الموصولة

الاسم الموصول إما أن يكون اسما خاصا، أي يدل على مفرد أو مثنى أو جمع، تذكيرا وتأنيثا، و إما أن يكون عاما غير مختص، وهو يحتاج إلى شيئين ضروريين، صلة وعائد، وأن الصلة ينبغي أن تكون جملة خبرية، وأن العائد عبارة عن ضمير يعود على الاسم الموصول(٤٩).

وجاء التوظيف الاشاري باستعمال العنصر الاشاري الموصول في شعر شعراء العصر العباسي في السجون، إذ نرى الشاعر ابن الزيات قد ابدع فيه، فقد طلب ابن الزيات في أثناء التعذيب عذابه دواة وبطاقة فاحضرنا إليه فكتب، وسيرها إلى المتوكل فأنشغل عنها، ولم يقف عليها الا الغد، فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه فجاءوا إليه فوجدوه ميتاً(٥٠).

وكان قد قال:

هي السبيل فمن يوم إلى يوم كأنهُ ما تُريك العينُ في النومِ

لا تجزعنَ رويداً إنها دولٌ دنيا تنقلُ من قومٍ الى قومِ(٥١)

في ظاهر الأبيات نرى ابن الزيات قد دمج ظاهر البيت الضمير الغائب وهو (الضمير هي) مع الاسم الموصول وهو (من)، إذ تبرز الملامح الاشارية الشخصية في هذا البيت باستخدام الأداة من أجل أن يكتب ما يشعر به في أثناء حبسه ونرى أنه قد استخدم الضمير الغائب لكي يوصلها إلى المتلقي وهو المتوكل وكذلك استخدم الاسم الموصل كي يربط الفترة الزمنية التي يقضيها في السجن ولم تنم عينه وهنا نرى أنه استخدم العنصر الاشاري لكي يوضح ويوصل للمتلقي تغير الزمن عليه وزوال عهده وذهاب مجده الذي كان يتمتع به، فالتداولية نراها قد لجأت إلى استعمال مختلف الجوانب اللغوية على ضوء عناصر السياق، مما يكفل له ضمان التوفيق من لدى المرسل إليه عند تأويل قصده وتحقيق هدفه، إذ يقتصر الباحث على دراسة المعاني ، وليس هذا الأخير بمفهومه الدلالي البحت ، بل المعنى في سياق التواصل مما يسوغ معه تسمية المعنى بمعنى المتكلم.

وفي نص اخر نجد الشاعر أبا نواس قد استخدم العناصر الاشارية في أبياته الشعرية إذ يخاطب خادم الخليفة فيقول له:

جعلتُ عبيداً دون ما أنا خائِفٌ وصيرتُه بيني وبين يدِ الدهرِ

أشار إليه الناس من كلِّ جانبٍ وقالوا : أبو عمرو لها وأبو عمرو

فتى لا يحب الكسب إلا أحلَّه ولا الكنز إلاَّ من ثناءٍ ومن شُكرِ

عيوفٌ لأخلاق اللِّئام وهديِهم وذو زورٍ عما يقرب من وزر(٥٢)

في الأبيات أعلاه تتجسد التداولية إذ حقق الشاعر الاشاريات كما أحسن في ترتيب مواقع الضمائر في الأبيات الشعرية إذ نراه قد استعمل الاسم الموصول وهو (من) لكي يجعله صله يوصل بها ما يريده إلى المتلقي بصورة تجعل الكلام خالي من الالتباس وكذلك نجده أيضا قد استخدم الضمير المتكلم في الكلمات (جعلت، انا، صيرته، بيني) إذ كل كلمة استعملها الشاعر لها دلالة كلامية يشير بها إلى المتلقي ونجد أيضا أنه استخدم الضمير المخاطب في الكلمات (إليه، هديهم) هنا قد استخدم الضمير المخاطب فيصوره فتى صاحب اخلاق ومروءة.

نجد نص اخر للشاعر العباسي العلوي في أبياته مستعمل العنصر الاشاري إذ يقول مصبرا نفسه متعاليا قائلا:

وبدا له أن الذي قد ناله ما كان قدره له ديانُه

حتى اطمأن ضميره وكأنَّما هتك العلائقَ عامل وسنانُه(٥٣)

تبرز الاشاريات في ظاهر البيت إذ نجد الشاعر استعمل الاسم الموصول وهو (الذي) في أول البيت لكي يجعله ذا صلة للمتلقي ويجسد صورة ما يشعر به داخل السجن إلى المتلقي من اجل ايصال ما يريده للسلطة بأنه شامخ وأن السجن لا يؤثر عليه، وكذلك استخدم الضمير المتصل الهاء في

الكلمات(ناله، قدره، ديانه، ضميره، سنانه)كل هذه الضمائر مخاطباً بها المتلقي ، وحتى يتسنى للشاعر استثارة عواطف متلقيه وتغيير قناعاته فكان لزاما عليه[٥٤]أن يستعمل هذه الاشاريات.

الخاتمة

بعد أن انتهى شارف البحث على الانتهاء نعرض لأهم ما توصل إليه من نتائج، أهمها:

* برزت معالم التداولية بشكل واضح في شعر شعراء السجون عبر ما تنتج قرائحهم الشعرية من صيحات يناشدون بها الخلفاء للخروج من السجن والتخلص من عذابه.
* جاءت مظاهر الإشاريات في أشعار شعراء السجون في العصر العباسي مضمنت ضمن نداء التوبة وطلب العفو من الخليفة نتيجة ما اقترفته يدهم من أخطاء.
* توزعت مظاهر الإشاريات في شعر شعراء السجون وتنوعت إذ برز فيها توظيف الضمائر والأسماء الموصولة والنداء.
* لعل كثرة توظيف الضمائر والنداء في شعر شعراء السجون في العصر العباسي عائد إلى كونهم في حالة محاولة إيصال صوتهم إلى الخليفة، وهذا ما يستوجب رفع الصوت، ممَّا يتلاءم وأسلوب النداء، فضلاً عن كونه يخاطب شخًا أو أشخاص وهذا ما يستوجب استعمال الضمائر، وهي عناصر إشارية.
* برز الحوار واضحًا في شعر شعراء السجون في العصر العباسي وهو من أهم معالم التداولية وذلك لكون هؤلاء الشعراء في أشعارهم كانوا يخاطبون من بيده الأمر لإخراجهم من السجن.

الهوامش:

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب : ٨٢.
(٢) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ٣٤٧.
(٣) شرح ألفية ابن مالك ، أبو فارس الدحاح: ٣٤.
(٤) نسيج النص فيما يكون به الملفوظ نصاً:١١٧.
(٥) المصدر نفسه :١١٧.
(٦) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ٣٥٩.
(٧) ينظر: في اللسانيات التداولية، مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية ، خليفة بوجادي :٥٤.
(٨) استراتيجيات الخطاب، الشهري : ٤٥.
(٩) ينظر: لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب: ١٠٠ .
(١٠) النحو الوافي: ٢١٧-٢١٨.

(١١) ينظر: الاسر والسجون في شعر العرب :٢٣٢_ ٢٣٦ .
(١٢) أبو جعفر محمد بن عبدالملك المعروف بابن الزيات ، أحد الكتاب البارزين ، تقلَّد وزارة المعتصم إلى آخر أيامه ثمَّ استوزره الواثق ، وبعده المتوكل استوزره نحواً من أربعين يوماً ، وقد سجن مرتين : إحداهما في زمن الواثق لعداوة بينه وبين احمد بن أبي دواد ، والأخرى في زمن المتوكل الذي سجنه ظلما:٩٤-١٠٣
(١٣) ديوان ابن الزيات : تحقيق . د .جميل سعيد :٦٨
(١٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٨٢
(١٥) ينظر :القاموس الموسوعي للتداولية :٣٧٥
(١٦) وفيات الأعيان :١٠٠/٥
(١٧) المصدر نفسه :١٠٢/٥
(١٨) الديوان ، ابن زيات: ١٧٤
(١٩) ينظر: نسيج النص:١١٦
(٢٠) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٤٨
(٢١) الديوان :٧٢.
(٢٢) ينظر: قصيدة نشيد الجبار لأبي القاسم الشابي: ٥.
(٢٣) المراقبة والمعاقبة (ولادة السجن) ميشيل فوكو : ترجمة د . علي مقلد : ٢٤١
(٢٤) ديوان أبي نواس : (برواية الصولي):٢٨٤
(٢٥) جدلية الذات والاخر في شعر السجون: ١٢٧.
(٢٦) من أجل مقاربة قرائنية لديوان غنج المجاز ، لجمال أزراغيد: ٣.
(٢٧) محمد بن صالح بن عبد الله ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) شاعر حجازي ، خرج على المتوكل ، فحبسه ، ثم حمل إلى سر من رأى ، فحبس ثلاث سنين ، ثم مدح المتوكل فأطلقه . ينظر: الأغاني : ج ١٦ :٩: ٥٠
(٢٨) ديوان الشاعر: ٢٦.
(٢٩) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :١٩
(٣٠) ينظر: الاشاريات المقامية في ديوان حاتم الطائي ، مجلة العلوم الاسلامية: ٢٢
(٣١) ينظر: النداء بين النحوين والبلاغيين، مستغانم (بحث منشور) ، مبارك تريكي : ٣٨
(٣٢) ديوان أبي نواس : ١٧٤
(٣٣) ينظر: جدلية الذات والاخر في شعر السجون :٦١.
(٣٤) العزلة والمجتمع: ٩٣.
(٣٥) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ١٧١ . والبيت الأول غير موجود في الشرح المذكور ، وقد أثبته د . إبراهيم السامرائي في تحقيقه ديوان الشاعر : ٥٠
(٣٦) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٨
(٣٧) التطبيق النحوي: ٢٧٦-٢٨١. .
(٣٨) ينظر: الوجيز في الصرف والنحو والإعراب، جوزيف الياس : ٢٣٩-٢٤١.

(٣٩) أبو إسحاق إبراهيم بن ماهان المعروف بالنديم الموصلي ، لم يكن من الموصل بل سافر إليها وأقام مدة فنسب إليها ، وهو صاحب الغناء واختراع الألحان ، سجن مرات عديدة من قبل المهدي وهارون العباسيين بسبب معاقرته الخمرة ، توفي سنة ١٨٨ هـ. ينظر : الأغاني : ج ٥ : ١٠٦ فما بعدها، ووفيات الأعيان: ج ١ : ٤٣

(٤٠) الأغاني : ج ٥ : ١٤٧

(٤١) ينظر: التداولية واستراتيجيّة التّواصل: ١٥٧.

(٤٢) أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني ، أمير ، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيرز (قرب حماة) ومن العلماء الشجعان ، ولد بشيرز سنة ٤٨٨ هـ ، وفي سنة ٥٢٥ هـ حضر حرباً بين صاحب حمص وعسكر ملك الأمراء اتابك زنكي ، فجرح وأُسر وحمل إلى حماة حيث اعتقل في قلعتها ، ثم أُطلق سراحه ، توفي سنة ٥٨٤ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ج ١ : ١٩٦ ، وأسامة بن منقذ حياته وشعره : حسن عباس : ٨٤

(٤٣) ديوان أسامة بن منقذ : تحقيق : احمد احمد بدوي ، حامد عبد المجيد : ١١.

(٤٤) المصدر نفسه : ١١.

(٤٥) ينظر: التشكيل اللغوي في شعر السجن عند أبي فراس الحمداني، د. عباس علي : ٢٠

(٤٦) شعراء عباسيون:ج١: ٤١٠

(٤٧) ينظر: العناصر الإشارية في مقامات اليازجي:٤٨.

(٤٨) ينظر: الملفوظية ، جان سيرفوني، دكتور قاسم المقداد :٢١_٢٢.

(٤٩) ينظر: التطبق النحوي: ٥١.

(٥٠) ينظر :الديوان : ١٤١.

(٥١) ينظر :الديوان : ١٤١.

(٥٢) ديوان أبي نواس : تحقيق سليم قهوجي: ٤٣٨

(٥٣) الأغاني : ج ١٦ : ٥١٠

(٥٤) ينظر: المحاججة الشعرية في لافتات احمد مطر، هند كبوسي، اطروحة دكتوراه: ١٥٦.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. استراتجيات الخطاب مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط١ ،٢٠٠٤.

٢. الأسر والسجون في شعر العرب ، د. أحمد مختار البرزة، مؤسسة علوم القران، ط١، ١٩٨٥م.

٣. التطبيق النحوي ، عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ط٢، ١٩٩٨م.

٤. ديوان أبي نواس ، محمد كامل فريد ، مطبعة حجاوي بالقاهرة، ١٩٣٧م

٥. ديوان أبي نواس ، شرح محمود افندي واصف، المطبعة العمومية بمصر، ط١، ١٨٩٨م.

٦. ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي ،تحقيق وشرح وفهرسة سليم خليل القهوجي ، بيروت دار الجيل، ٢٠٠٣م

٧. ديوان أبي نواس برواية الصولي ، تحقيق الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية هيئة ابو ظبي للثقافة وتراث، ط١، ٢٠١٠م.

٨. ديوان أسامة بن منقذ ، تحقيق د. أحمد بدوي ، حامد عبدالمجيد ،نشر عالم الكتب ،ط٢ ،١٩٨٣م

٩. ديوان الوزير محمد عبد الملك الزيات ، تحقيق وتأليف د. جميل سعيد، نشر عبد الرحمن النجدي.

١٠. ديوان محمد بن صالح العلوي ،تحقيق مهدي عبد الحسن النجم، دار المواهب بيروت، ط١ ، ١٩٩٩م.

١١. شرح ألفية ابن مالك ،أبو فراس الدحداح، مكتبة العبيكان ،ط١، ٢٠٠٤م.

١٢. شرح ديوان أبي فراس الحمداني لابن خالويه، محمد بن شريفة ، طبع ونشر مؤسسة عبد العزيز محمد .

١٣. شعراء عباسيون ،د. يونس احمد السامرائي، مكتبة النهضة العربية ،عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٠م

١٤. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ،د. خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط١ ، ٢٠٠٩ م.

١٥. القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشلر ان ريبول ، ترجمة مجموعة من الاساتذة والباحثين بإشراف عزالدين مجدوب، مشر دار سينترا تونس ،٢٠١٠م.

١٦. كتاب الاغاني ، لأبي فرج الاصفهاني ،ج١٦، تحقق مصطفى السقا، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٦١م

١٧. كتاب الاغاني لأبي فرج الاصفهاني ، المجلد الثالث والعشرون ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، نشر دار الثقافة، بيروت، ١٩٦١م

١٨. كتاب العزلة والمجتمع ، نيفولاى برديائق ، ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز ، راجعه علي أدهم ، نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠م

١٩. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ،ذهبية حمو الحاج ، منصة الامل للطباعة والنشر ،ط٢.

٢٠. المراقبة والمعاقبة ولادة السجن ، ميشير فوكو ، تحقيق د. علي مقلد ،مراجعة وتقديم مطاع صقري مركز الانماء القومي بيروت ١٩٩٠م

٢١. الملفوظية ، جان سير فوني ،ترجمة د. قاسم المقداد ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ،١٩٩٨م.

٢٢. من أجل مقاربة قرائنية لديوان غنج المجاز لجمال ارزاغيد، جميل حمداوي في اريفينو، شبكة اخبار الناظور والريف اريفنيو نت، ٢٠١١م.

٢٣. النحو الوافي ،عباس حسن، نشر دار المعارف بمصر،ط٣ .

٢٤. نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ،الازهر الزناد ، النشر المركز الثقافي العربي ،ط١، ١٩٩٣م

٢٥. الوجيز في الصرف والنحو والاعراب ، جرجس ناصيف ، جوزيف الياس ،مكتبة لسان العرب دار العلم للملاين، بيروت لبنان.

٢٦. وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان ، تحقيق دكتور احسان عباس ، مجلد اول ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م

٢٧. وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان ،تحقيق محمد محي الدين، نشر مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٤٩م.

الرسائل الجامعية

١. جدلية الذات والذات الآخر في شعر السجون (العصرين الأموي والعباسي) دراسة نفسية ، رائد البطاط ، (اطروحة)، ٢٠١١م

٢. العناصر الاشارية في مقامات اليازجي (مذكرة ماستر)، سيد أحمد هاجر. جودي وفاء جامعة محمد خيضر بسكرة كلية الاداب ولغات ،سنة ٢٠٢١_٢٠٢٢.

البحوث المنشورة:

١. الاشاريات المقامية في ديوان حاتم الطائي - دراسة تداولية ، إبراهيم حمدج مهاوش الدليمي، مجلة العلوم الاسلامية ، العدد ١٥، مجلد ٢٠١٧، نشر الجامعة العراقية كلية العلوم الانسانية.

٢. التشكيل اللغوي في شعر السجون ، د. عباس علي بحث منشور في مجلة جامعة القصى، سلسلة العلوم الانسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، يناير ٢٠٠٩م.
٣. النداء بين النحوين والبلاغين ،مبارك تريكي ،المركز الجامعي المدية ،العدد ٠٧، ٢٠٠٧،حوليات التراث.